رويّ الجيم

عرفتك والصفوف معبَّآت

قال وقد صف سيف الدولة الجيش في منزل يعرف بالسنبوس: [الوافر]

لِـــهَـــذَا الْـــيَـــوْمِ بَـــعْـــدَ غَـــدٍ أَرِيـــجُ
وَنَـــارٌ فِـــي الْـــعَـــدُوِّ لَـــهَـــا أَجـــيـــجُ (١)
تَـــبـــيـــتُ بِـــهَـــا الْـــحَـــوَاضِـــنُ آمِـــنَـــاتٍ
وَتَـــسْـــلَـــمُ فِـــي مَـــسَـــالِـــكِـــهَـــا الْـــحَـــجِـــيـــجُ (٢)
فَـــلَا زَالَـــتْ عُـــدَاتُـــكَ حَـــيْـــثُ كَـــانَـــتْ
فَـــرَائِـــسَ أَيُّـــهَـــا الْأَسَـــدُ الـــمَـــهِـــيـــجُ (٣)
عَـــرَفْـــتُـــكَ وَالـــصُّـــفُـــوفُ مُـــعَـــبَّـــآتٌ
وَأَنْـــتَ بِـــغَـــيْـــرِ سَـــيْـــفِـــكَ لَا تَـــعِـــيـــجُ (٤)

---

(١) الأريج: النشر الطيب المعطر. الأجيج: اضطرام النار واشتعالها. استبشر الشاعر لما شاهد سيف الدولة يستعدّ للحرب بأن النصر يلوح بالأفق ونشر طيبه سوف يعمّ الآفاق ويُفرح الأصحاب والأحباب، وفي المقابل ستتصاعد النيران في ديار الأعداء فتشوي جلودهم وقلوبهم ويولّون الأدبار مهزومين.

(٢) الحواضن: المربيات. وتروى «الحواصن» و«الحواضر» بدلاً من «الحواضن» والحواصن: العفيفات. المسالك: الطرقات. ينتج عن هذه الحروب أن المسلمات يأمنّ على أنفسهن في ديارهن، فلا سبي ولا تشتت ولا حرمان من صغارهن. وكذلك يطمئن الحجيج وهم يقصدون البيت الحرام فلا يُفاجأون من قبل الروم الأعداء.

(٣) يدعو الشاعر لسيف الدولة بالتوفيق وأن يجعل اللّه تعالى أعداءه فرائس له، وهو أسد ضارٍ، قادر على إرهاب عدوّه.

(٤) تعيج: تهتمّ. وما يدلّ على شجاعة سيف الدولة أنه لا يهتم للسلاح، ونظرة عجلى =

وَوَجْـهُ الْـبَـحْـرِ يُـعْـرَفُ مِـنْ بَـعِـيـدٍ
إِذَا يَـسْـجُـو فَـكَـيْـفَ إِذَا يَـمُـوجُ[١]
بِـأَرْضٍ تَـهْـلِـكُ الْأَشْـوَاطُ فِـيـهَـا
إِذَا مُـلِـئَـتْ مِـنَ الـرَّكْـضِ الـفُـرُوجُ[٢]
تُـحَـاوِلُ نَـفْـسَ مَـلْـكِ الـرُّومِ فِـيـهَـا
فَـتَـفْـدِيـهِ رَعِـيَّـتُـهُ الْـعُـلُـوجُ[٣]
أَبِـالْـغَـمَـرَاتِ تُـوعِـدُنَـا الـنَّـصَـارَى
وَنَـحْـنُ نُـجُـومُـهَـا وَهِـيَ الْـبُـرُوجُ[٤]
وَفِـيـنَـا الـسَّـيْـفُ حَـمْـلَـتُـهُ صَـدُوقٌ
إِذَا لَاقَـى وَغَـارَتُـهُ لَـجُـوجُ[٥]

= يرمي بها الشاعر على جند الأمير المنظم والمعدّ خير إعداد، وعلى رأس هذا قائد لا يحمل سلاحاً لأنه في منتهى الشجاعة لذا فهو ليس بحاجة للسلاح.

(١) يسجو: يهدأ. البحر في حال سكونه جميل يحمل على الطمأنينة، فالأمير بحر ساكن يبدو من بعيد ثابت الجأش مطمئناً إلى جيشه واثقاً به، ولكن ما إن تتدافع الجموع إلى الأمام حتى يتغيّر الحال، فإذا بالبحر يبدو عاصفاً مدمّراً.

(٢) الشوط: الطلق، الاندفاع. الفروج: الفتحة بين قوائم الجواد. يبدو سيف الدولة يعدو به فرسه منطلقاً كالبرق كأنه صاعقة سوف تنزل بأعدائه الموت الزعاف، ورغم رحابة الميدان واتساعه يتقلّص بعدو فرسه المندفع وكأنه في مباراة سباق وليس في معركة ممَّا يدل على سرعة تهاوي جنود الأعداء أمامه.

(٣) العلوج، الواحد عِلج: كفار العجم. إنها حركة غايتها إدراك ملك الروم، سيف الدولة يشقّ الصفوف ويفرّق جموعها ليدرك ملك الروم فيُطيح برأسه، ولكن رعيته تحول دون ذلك فتترامى بين يدي سيف الدولة مضحية بأنفسها حفاظاً على ملكهم.

(٤) يستنكر الشاعر على النصارى تهديدهم بأنهم سوف ينزلون بجند سيف الدولة الهزائم الشنيعة، ولقد فات هؤلاء أن جند سيف الدولة نجوم الحروب بهم تُضاء سماؤها وبهم تخمد نيران الأعداء، وهم يتربّعون بروج تلك السماء.

(٥) اللجوج: الملحّ في الطلب. يفخر الشاعر أن سيف الدولة قائد جند بطل مغوار، صادق الحملة لا يتوانى ولا يتراجع بل إنه يُوغل في جيوش الأعداء تقتيلاً وأسراً وتجريحاً، حتى يستأصل شأفتهم.

نُـــعَـــوِّذُهُ مِـــنَ الأَعْـــيـــانِ بَـــأْســـاً
وَيَـكْـثُـرُ بِـالـدُّعَـاءِ لَـهُ الـضَّـجِـيـجُ[١]
رَضِـيـنَـا وَالـدُّمُـسْـتُـقُ غَـيْـرُ رَاضٍ
بِـمَـا حَـكَـمَ الْـقَـوَاضِـبُ وَالْـوَشِـيـجُ[٢]
فَـإِنْ يُـقْـدِمْ فَـقَـدْ زُرْنَـا سَـمَـنْـدُو
وَإِنْ يُـحْـجِـمْ فَـمَـوْعِـدُهُ الْـخَـلِـيـجُ[٣]

(١) يتمحور خوف الشاعر على سيف الدولة من عيون الحاسدين لذا فإنه يستعيذ باللّه تعالى ليحميه من تلك العيون القاتلة، وهذا يكفي لأن الأمير يكفيه ما عليه من شجاعة وبطولة.

(٢) الدمستق: قائد جيش الروم، القواضب، الواحد قاضب: السيف البتّار. الوشيج: عيدان الرماح. يبدي الشاعر فرحه فقد رضي بأفعال سيف الدولة وسُرّ لذلك وهذا ما يزعج الدمستق، لأن السيوف والرماح عملت عملها في جيشه فباء بالهزيمة الشنيعة.

(٣) سمندو: قلعة في بلاد الروم تعرف اليوم ببلغراد. الخليج: خليج القسطنطينية. يحمل قول الشاعر تهديداً لقائد الروم، فقد وصلت جيوش سيف الدولة إلى سمندو، وهي عقر دياره لمواجهته فإن أقدم فالقتال على وشك هبوب عواصفه، وإن فرّ فلا بدّ من لقائه في خليج القسطنطينية.